

تحفيظ شرح بين العالمية والعولمة

أ. إسماعيل سامي
جامعة الأميرة عيلة، القاهرة



إن تطور دراسة التاريخ، وتطور مناهجه يرتبط أساساً بمستوى حضارة كل أمة حيث أن الأمة المتطورة لا تقرض هيمنتها على الأمم الأخرى سياسياً واقتصادياً فحسب بل وهيمنتها الثقافية ذلك أن الأمم العظمى قادرة دائماً على تصدير الأفكار كما هي قادرة على تصدير البضائع، وأما وثقة من أن تصديرها للأفكار يكون بصورة مجردة؛ وضمن كل بضاعة ومادة، وبالتالي فتأثيرها يكون مباشراً، وبمس كل الشرائح الاجتماعية، في حين لا تمس صادرات الدول الضعيفة إلا القلة من أفراد المجتمع، ولذلك فالتاريخ الثقافي بالنسبة للأقوى يصبح مهماً جداً حيث تجعل الدول أو الشعوب صيرورة تطور تاريخها مقياساً لتطور تاريخ الأمم الأخرى خاصة الضعيفة منها فتكيف تطورها كما تكيف سياستها واقتصادها، وتجعل العالم عالمها.

ورغم أن هذا المعيار غير ثابت بنص الوحي الإلهي: "وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين"¹، ويتطور الأمم وحضارتها فاليونانيون، والرومانيون، والعرب المسلمون، والأوروبيون، جعل كل منهم العلماء عالمه وهو مركزه، وغيره هوامش ولواحق، فاليونانيون والرومانيون جعلوا من أثينا ثم روما مركز العالم، كما جعل العرب المسلمون بغداد كذلك، وفي العصر الحديث أوروبا الغربية، وفي عصرنا شمال القارة الأمريكية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية.

1- سورة آل عمران، 140.

أ. إسماعيل سامعيتحقيب التاريخ
الذي يوضحه الخطاب القرآني (يا أيها الناس) التي وردت في القرآن، عشرين (20) مرة،
(و(رب العالمين) واحد وستين(61) مرة، والنموذج الأوربي المستند إلى التطور العرق الأوربي،
والنموذج الأمريكي الذي أساسه التفاعل الثقافي، وعرضنا لهذه النماذج ضمن جداول
ستيسر الولوج في فهم أعماق الموضوع وتزيده إيضاحا.

إن تحقيب التاريخ عند المسلمين لم يكن اكتشاف صدفة، ولا اجتهد بشر بل هو أولا
توجيه من الله الذي جعل الرسالة الحمديّة خاتمة لرسالات خاصة بمجتمعات محددة، وفاصلة
بين عهد الجزئيات، وعهد الشمولية، ورسالة للبشر كافة، ومن ثم فتقسيم التاريخ عند
العرب والمسلمين جاء في هذا السياق، والنموذج الآتي يلقي الضوء على ذلك:

تحقيب التاريخ عند العرب المسلمين بالاعتماد على الطبري وابن خلدون¹

التحقيب	الزمن	العصور	تحديد الفترات	الخصائص
ما قبل الإسلام	01هـ/622م	الزمان	-	الزمن مسألة غيبية/الدهر هو أنا، -حديث شريف-
		خلق الكون	فترة خلق الكون	
		الأنبياء والرسول	من آدم إلى محمد عليهم السلام	النسب والرسالات السمائية رسالة واحدة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم
		الإمبراطوريات والممالك والدول	بابل، مصر، الفرس، الصين، الرومان، البيزنطيون	تنصب النظرة على تدهور هذه الإمبراطوريات والممالك والدول

الكويت، م 82، العدد 02، عام 1999، وفيخ العولمة، لجانس - بيتر مارتين، وهارالد شوممان، ترجمة
عدنان رمزي زكي، إصدار نفس المجلس الكويتي 238، عام 1998.
1- يمكن الرجوع إلى مقدمة الطبري لكتابه "تاريخ الأمم والملوك" ط، عز الدين 1985، 7/6، الذي
يلور منهجه في كتابه، وتقسيمه للتاريخ، وفي ص 8، ويعنوان: "القول في الزمان ما هو" ثم يعرض العصور
التاريخية كما هي موضحة في الجدول، أما ابن خلدون فإنه بعد أن يتحدث عن الزمان في المقدمة، يتحدث
في مقدمة كتابه العبر ج 2، دار الكتاب اللبناني، 1977، 3/2، عن الخلق ثم إلى ما أتى إليه الطبري مع بعض
الفوارق.

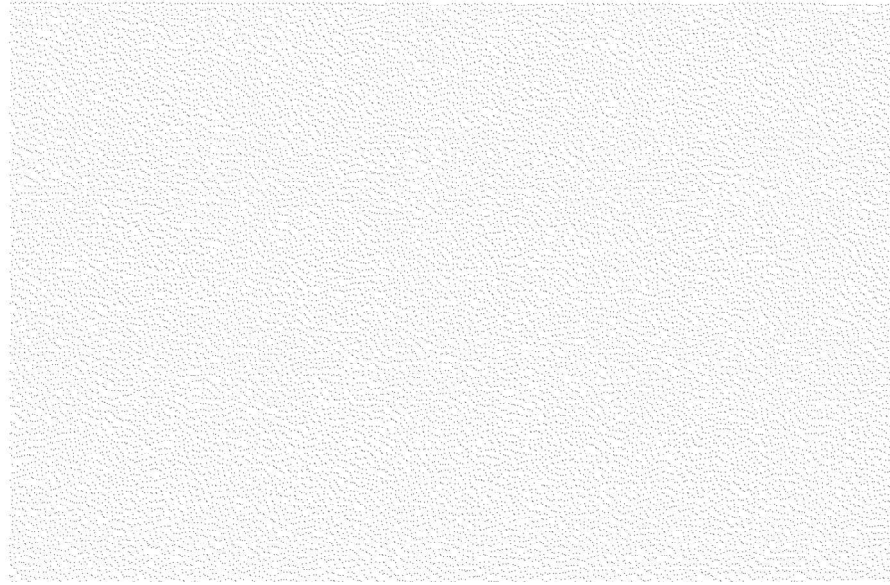
١. إسماعيل سامعيتحقيب التاريخ

الإسلام	622م	عصر النبي -ص-	-دولة النبي -ص- -الدولة الراشدة	-من البعثة إلى الوفاء -النموذج
		عصر الخلفاء الراشدين -عصر الأمويين	-الفتوح / التوسع	-التأسيس للعامة
		عصر العباسيين	-العالمية	-مظاهر العامة
		عصر العثمانيين	-الدفاع	توقف التطور الحضاري /التدهور
		عصر النهضة	النهوض الحديث	مواجهة هجمة الآخر

الاستنتاجات: يستنتج من هذا التقسيم المعتمد أساسا على منهج
ما يأتي:

- أ - يعد الطبري - أبو التاريخ اله -
تحقيب التاريخ من حيث
والبلاد. -
وابن
ب -
الانحطاط -
بعض أعمالهم في المجالات العقديّة، والاجتماعية.
ج - لقد جاء القرآن بنظرة عالمية إلى تاريخ البشرية تتمثل في توالي النبوات والرسالات
التي تجمعها وحدة الاعتقاد، ووحدة الكون ومصيره، وقد ميزت هذه النظرة مرحلتين
كبيرتين: مرحلة ما قبل الإسلام، وتمتد إلى بداية الكون نفسه ثم الخلق، وتستمر حتى بعثة
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتي كانت منتهى لكل روافد أحداث العالم فهي
الجامعة والنهاية، ومرحلة ما بعده، وهي التي ترتقي فيها البشرية إلى الوحدة الشاملة فتبلور
التعبّد لله الواحد - التوحيد -، وأن البشر كلهم اخوة - عيال الله -.

١. إسماعيل سامعيتحقيب التاريخ
أما التحقيب عند الأوروبيين الذي ظهر وتطور مع بداية عصر النهضة في أوروبا، وبعد ما
اضمحلت سيطرة الكنيسة، وتجاوزت تعاليمها فإنه جاء ليعبر عن مسار تاريخي واجتماعي
خاص بهم، وعن رؤية متميزة لمستقبلهم الحضاري، وقد تضافرت عوامل عدة لتجعل منه هو
التحقيب الغالب في العالم منها على الخصوص العاملين الهامين التقدم الحضاري، والسيطرة
الاستعمارية؛ ومن ثم فكل المنظومات الفكرية والمناهج العلمية، والمقررات الدراسية طبعت
بهذا لطابع، وورث العالم المتخلف منه عالمنا العربي والإسلامي، وبلدنا الجزائر هذه
المنظومات والمناهج، والنموذج الآتي يوضح التحقيب عند الأوروبيين:



١. إسماعيل سامعيتحقيب التاريخ

تققيب التاريخ عند الأوروبيين¹

التحقيب	الزمن	العصور	الفترات	الخصائص
ما قبل التاريخ	-3000 ق م	-الحجري القديم -الحجري الوسيط -الحجري الأعلى	قبل اكتشاف الكتابة	حضارات جرية/استخدام الحجر كوسيلة
التاريخ	من 3000+ سنة ق م إلى القرن 5 م	العصر القديم	بداية الكتابة/فجر التاريخ إلى سقوط روما	العصر الكلاسيكي وعصر ظهور الحضارات الكبرى
	من 5 م إلى 1492 م	العصر الوسيط	من سقوط روما إلى سقوط	اللغة في
	1492-1945	العصر الحديث		
				ازدهار الصناعة -الرأسمالية -الاشتراكية -الحرب العالمية
	2000	المعاصر	من الحرب العالمية الثانية إلى يومنا	-الحرب الباردة -السلح النووي -التلفزيون -غزو الفضاء -الإنترنت -العولمة

١-التقسيم الأوربي هذا هو الذي فرضته أوروبا على لاسيما الذي رزخ تحت نير استعمارها، ومما رالت أغلب المناهج في أغلب جامعات الدول التي كانت مستعمرة تسير وفق هذا المنهج، ومنه الجامعات العربية.

١. إسماعيل مامعي.....تحقيب التاريخ
الاستنتاجات:

إن قراءة هذا الجدول قراءة متأنية تمكن الباحث والقارئ في هذا المجال من تكوين رؤية حقيقية عن مسار تحقيب التاريخ عند الأوروبيين وتطوره، وطبيعة العالمية ومفهومها عندهم، ومن ثم الوقوف على الاستنتاجات الآتية:

أولاً — إن تطور التاريخ عند الأوروبيين مبني على أساس العرق الآري الأوربي

ثانياً — التحقيب الأوربي يُلور نظرية المركزية والهوامش في الحضارة

ثالثاً — الأسس المعتمدة في هذا التحقيب، المكتشفات الأثرية، وتطور النظم السياسية والاقتصادية.

رابعاً — إن العصور الوسطى المظلمة عند الأوروبيين هي نفسه عصور الازدهار الحضاري العربي الإسلامي.

5 — اعتبار الحضارات السابقة ناقصة غير مكتملة وذلك لأن الجوانب الروحية فيها كانت غير واضحة، كما لم تنفصل فيها العلوم عن بعضها، ويظهر التخصص الدقيق الذي يمكن من الاكتشاف والابتكار والتراكم الحضاري المتمثل في الأفكار والمنتجات مثل ما حدث منذ بداية الحضارة العربية الإسلامية وحتى اليوم.

وفي نهاية القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين يتحول في هذا السياق النسقي تحقيب التاريخ إلى عولمة بالمفهوم الأمريكي، وتصورات مسار تطور العالم جاعلاً — أي التحقيب — روافده تلتقي عند هذه الرؤية لتشكّل مجرى واحداً. والسؤال هل سيكون في الإمكان فرض هيمنته على شعوب العالم؟ وهل سيدوم؟ وإلى متى؟ انطلاقاً من "تلك الأيام نداؤها بين الناس"¹؛ ولفهم نظرة الأمريكان إلى المسار النسقي للتاريخ وحقبه أين ذلك في الجدول الآتي:

1- سورة آل عمران، 140.

١. إسماعيل سامعي تحقيق التاريخ

تحقيق التاريخ عند الأمريكان في ظل العولمة^١

التحقيق	العصور	الزمن	المناطق	الخصائص	الملاحظات
ما قبل التاريخ	عصر المجتمعات المرحية	قبل 3500 ق م		- استئناس الخيول - صنع السفن - تجهيد لعصر م.م.أ	
التاريخ	عصر المجتمعات المرحية المتأخرة	3500 ق م إلى 2000 ق م	- بلاد الرافدين - مصر - الهند - الصين	- تقنيات دعم التفاعل الثقافي - اكتشاف الزراعة - الاستقرار	انطلاق التبادل التجاري المجد
المدن القديمة	عصر المدن القديمة	2000 ق م إلى 500 ق م	- الإغريق - الرومان - الفرس - الصين - اليابان - الهند - أمريكا - أفريقيا - أوروبا - آسيا - أستراليا - نيوزيلندا - نيوزيلندا	- استخدام العجلة الحديدية - التجارة الطويلة	عدد السكان يقدر بـ 100 مليون في العالم
عصر الكلاسيكي	عصر الكلاسيكي	500 ق م إلى 500 م	- الصين = أسرة هان - فارس والهند - الإمبراطورية الرومانية - الهند	- تنظيم الدولة الواسعة - تحسين المواصلات	
عصر الإمبراطورية	عصر الإمبراطورية	1000 م إلى 1500 م	- إمبراطورية تانغ في الصين - الخلافة العباسية في جنوب شرق آسيا - بيزنطة في حوض ملتش	- التوسع التجاري - طرق الحرير - التجارة البحرية - المسافات الطويلة - التفاعل المباشر - الهجرة - التوسع الإمبراطوري - تجارة المسافات الطويلة	- التفاعل الثقافي - الاستقرار السياسي - الحوافز الاقتصادية
عصر الإمبراطورية	عصر الإمبراطورية	1500 م حتى اليوم	العالم	- تبادل ثقافي - بيولوجي - الكثافة السكانية - التنظيم - طبيعة التفاعل الثقافي - الثقافة لمت	

١ - للمزيد الإيضاح انظر، جيري هـ - بنتلي أستاذ التاريخ بجامعة هاواي، ورئيس تحرير صحيفة Journal of world history، تحقيق تاريخ العالم (دراسة)، ترجمة بدر الرفاعي، مجلة "الثقافة العالمية" ملف حول العولمة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب - بدولة الكويت، العدد، 85، ص، 158.

١. إسماعيل سامعي تحقيب التاريخ
الاستقفا جات:

لقد أصبح في الإمكان إجراء مقارنة من خلال هذه النماذج الثلاث لأكبر المخططات الحضارية منذ القرن السابع الميلادي وحتى اليوم، وهذا لا يعني أن هذه هي المخططات الوحيدة فهناك مخططات أخرى، ونظريات منها على سبيل المثال النظرية المادية أو النظرية الشيوعية للتاريخ، والمتمعن في مضمون الجدول البياني يمكنه أن يصل إلى عدة استنتاجات منها الآتي:

1 — التبادل والتفاعل الثقافي هو الأساس في هذا التحقيب

2 — إن هذا التحقيب للتاريخ مبني على أساس التطورات الداخلية في المجتمعات المفردة؛ وهي نظرة غربية أمريكية في صياغة خبرات الشعوب.

3 — التفاعلات التاريخية والثقافية المتبادلة لها الدور الأكبر عبر الحقب التاريخية، ويتحلل هذا النوع من التبادل في الحياة، والثروات، وفي خطوط حدود المجتمعات والأقاليم الثقافية

4 — كما اعتمد التقسيم البعد المسيحي في التاريخ الأوربي والأمريكي.

5 — ولهذا التقسيم قواسم مشتركة مع التقسيم الأوربي يخص حقبة ما قبل التاريخ. وبداية التاريخ.

6 — اعتمد هذا التقسيم على ما أحدثته الهجرات الكبيرة من تغييرات في الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

7 — كما حاول التقسيم أن يساير التطور الطبيعي للحياة على الكرة الأرضية منها الحملات التي رافقت توسع تجارة المسافات الطويلة، واستئناس الخيول وما انجر عنه من تقنيات النقل، والذي كان أمرا حاسما في قيام الدول والحفاظ عليها، وقد تطورت المواصلات منذ هذا العهد حيث يمكن اعتبار إحدى العوامل التي أسهمت في التفاعل الثقافي للمجتمعات، وإقامة الدول، ووحدة الكون (التوحيد) عند المسلمين فجعلت من الدعوة ونشر مبادئ الإسلام أساسا لذلك.

١. إسماعيل سامعي.....تحقيب التاريخ

8 — كما يبدو أن البشرية قبل القرن 35 ق م عدها هذا التقسيم في زمام المجتمعات البدائية¹ التي مهدت لظهور المجتمعات المثقفة.

9 — لا يعير التحقيب اهتماما لاكتشاف الكتابة بل يركز على التفاعل والتبادل الثقافي والموارد الاقتصادية، باعتبار أن الرسوم التعليمية التي ظهرت قبل الكتابة بآلاف السنين تعتبر كتابة هي الأخرى، وهنا يلتقي هذا التقسيم بالنظرية الإسلامية المستمدة من القرآن التي ترى أن الكتابة بدأت مع آدم عليه السلام: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"².

10 — لقد تطور المواصلات إلى أن وصلت إلى الأقمار الصناعية، وهو الأمر الذي أعطى للعالم المتقدم وعلى رأسه أمريكا فرصة محاولة فرض هيمنتها الثقافية -
جعلها وسيلة لعولمة العالم أو قل قبولته، وفق النمذجة

والخلاصة التي يمكن الخروج^{١٤} أصبح أكثر من ض
والمسار
انطلاقاً
جهة أخرى

1- توينبي أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية = للمزيد من التوضيح يمكن الرجوع إلى الفصل القيم لتوينبي في كتابه هذا 21/1 حول الحضارات والمجتمعات.

2- سورة البقرة، 31.

3- دافيد روثكووث، في مديح الأميرالية الثقافية. ترجمة أحمد حضر، مجلة "الثقافة العالمية"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - بدولة الكويت، م، 28، سنة 1997، ص، 28.